كلمة حيّان سليم حيدر في مناسبة تكريم وزارة الثقافة للقانوني والأديب والشاعر سليم حيدر.

أقرأ في بطاقة الدعوة: دقيقة شكر. لو أتيح لي أن أتكلّم دهرًا... لما إكتفيت، ولما أوفيت.

الحمد لله الذي بارك هذه الأمسية.

أصحاب المعالي والسيادة والسعادة، أصحاب الألقاب والمقامات، أصحاب الفكر والأدب والفنّ، أصحاب التقدير والمحبّة، مساء الخير.

من عادتي في هكذا مناسبة أن أقلب تقليد المخاطبة. فاسمحوا لي بأن أبدأ بالحضور وأن أختم وقوفي أمامكم بمخاطبة والدي، صاحب هذه الذكرى.

الشكر لهذا الحضور المتميّز، لوحة رائعة من الأعمار والإهتمامات والإتجاهات، كلّ في مجاله الثقافي والسياسي والأكاديمي والإجتماعي، في الشعر والأدب والسياسة، في الإدارة والإعلام، في الفكر والإنسانوية. كلّ الشكر لكم ولكنّ على مشاركتنا إحياء هذا التراث وجعله تكريمًا مميّزًا لراحلنا الحبيب.

الشكر أيضًا لكلّ مَن إتصل مقدّرًا ومتابعًا ومعتذرًا عن الحضور لأسباب شخصية.
والشكر موصول لدار النشر على كرم إلتفاتتها ولا يفوتني شكر أهل الإعلام لإهتمامهم بنا ومتابعتهم معنا.

الشكر مكرّر، ومكرّر لوزارة الثقافة ولإدارة قصر الصنائع على كلّ ما قدّموه.

أمّا السادة الخطباء. بليغٌ ما سمعته اليوم، وأترك لكلمات سليم حيدر مهمّة شكرهم:

- سعة علم ورهافة حسّ وعفة تفكير وصفاء سلوك، في صبر على التمحيص ودقة في الضبط ووعي في الكشف ونزاهة في الإستنتاج، إلى الذي لم يصرفه مدلول الكلمة عن جمال الكلمة.
الشكر لك صديقي الدكتور ساسين عسّاف.

- إلى القلم المبدع جمالًا من شتات الجمال، على هدى الفكر النيّر وعلى نبضات القلب المُوْله، في مثل تأمل الفلاسفة وابتهال العابدين، إلى الشاعر بجمال الشعر، المكتوي بأشواقه، المحتفل بإشراقه، الجوالة في آفاقه، المتكلّم بألسنة زمانه.
الشكر لك الصديق الأستاذ شوقي ساسين.

- وأنت... يا صديق الدرب، يا علي، يا راحلًا إلى غياهب السؤال، يا طبيب الروح، جرّاح المعاصي، لا شكّ عندي أنّ سليم حيدر، الذي أحببت، كان يصفك عندما قال:

" ليتني أسطيع أن أنقش في لوح الأطِبَّهْ عند جالينوس في متن الوصايا المستحبَّةْ
أنَّ ليس الطبُّ في حفظ كتابٍ و دواءٍ إنّه علمٌ وفنٌّ واكتناهٌ ومحبَّهْ "

نعم. ومحبّة. رحم الله الدكتور علي حسن.

وإلى إبنتي دّنى، التي لم يعرفها أبا حسّان، أخالك تقولين لجدّك، بكلمات قصيدته إلى أختك الكبيرة روى، وسيرًا على خطى أختك الوسطى، تنشدين: **"... سأكون يا جدّي، كما أمّلت، من أهل السُوى".**

وشكر خاصّ الى زوجتي رائدة وإلى عائلتي على تأمين الراحة البيتية التي أسّست لهذا النجاح.

الشكر الكبير والتقدير لكم جميعًا. وإذا كان من تقصير ما، والكمال لله، فأعتذر، لأنّ حتى الكمال ناقصٌ كما يشرح سليم حيدر:

إن يَكُن كاملًا فيَنقَصُهُ النَّقصُ... قرينٌ قد غاب عنه قرينُ .

تعرّفت عليه منذ شهور قليلة في إجتماع لمؤسّسة تراثية، مراقبًا. هو، باختصار، يستمع، يقتنع، يبادر، ينفّذ. فقلت لنفسي: هذا الذي... فكانت هذه الأمسية اللطيفة وما رافقها وما سيتبعها.
وأسأل القاضي المعالي: هل، يا تُرَى، كان سليم حيدر يخاطبك من على منبر قصر العدل في العام 1946، وهو نازح من عالم القضاء إلى عالم السياسة، عندما قال:

" ولكنّي دُعيتُ الى جهادٍ ومثلي مَن إذا نودي أجابا "

لطالما دار حديثٌ بيني وبين الراحل الدكتور علي حسن عن ثنائية الصُدَف والقدر، وكان ينوي كتابة أطروحة فلسفية حول الموضوع لكنّ الزمن داهمه. وأتساءل يا علي: هل أنّ لقاءنا هنا اليوم هو صدف؟ أم أنّه قدر؟
لأستنتج: الصدف دائمًا ما يحتاج إلى محرّك ليصبح قدرًا. فكان وزيرٌ للثقافة، ليجعل من الصدف قدرًا.
وفي جلسة تفاكر أخرى من جلسات ما أسمّيها "الجمع التنظيري" (على غرار الجمع التكسيري)، أيّ نجتمع وننظّر، كثيرًا ما كنّا نتحاور عن ثنائية "الجهد والنتيجة". هنا أيضًا، كانت جهود ثبْذَلُ، لا شك، لسنين وأبحاث، ونحن لا نعلم إذا أو متى تتكوّن نتيجة لها. فكان محمد وسام المرتضى، في هذا الموقع، في هذا الوقت، وكانت هذه النتيجة البديعة.
فشكر مكرّر ومضاعف يا معالي الرئيس الأستاذ محمد وسام المرتضى.

وأخيرًا، إلى والدي. تفارقني الذاكرة، عامًا بعد عامٍ، ولا تفارقني الذكرى، قصيدةً بعد ديوان. دائمًا ما يطيب لي أن أستعين بقصيدة حبّ أرادها سليم حيدر بعنوان **"لذّة البوح"**، والتي غنّتها السيدة فيروز من الإذاعة اللبنانية في أواخر خمسينيات القرن الماضي (يمكن إستخراجها من مشغّل جَوْجَل ولكن بكلمات من مطلع القصيدة وهي: " قولي أحبّك "). يقول سليم:

" قـــولي أحبّـــك لا تملّـــي فالصـــمتُ عنـــوانُ التخلّـــي

قـــــد قُلتِهـــــا وأعَـــــدتِها لكنّهـــا لـــم تشـــفِ غلّـــي "

بدوري، أقول لك، والدي الحبيب، وبلوعة المشتاق: لقد كانت هذه المناسبة كي لا يكون الصمت عنوان التخلّي...

ومع أحبّائنا هنا، ذكرتك ... وتذكّرتك ... لعلّها تشفي غلّي.

أشكركم ... أشكركم كلّ الشكر.

حيّان سليم حيدر

المكتبة الوطنية، قصر الصنائع، الجمعة في 17 حزيران 2022م.